عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « مامن نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التى أعطيها عليه السلام وهو القرآن وإلافله من المعجزات مالا يحد ولايحصر كما هو مودع فى كتبه ومقرر فى مواضعه ثم قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أى لوأنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لايؤمنون (ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) كما قال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون — إلى قوله — بما كانوا يصدفون) وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) الآية وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) الآيتين ، ثم قال تعالى (قل) أى يامحمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده (كل متربص) أى مناومنكم (فتربصوا) أى فانتظروا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوى) أى الطريق المستقيم (ومن اهتدى) إلى الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالى (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) وقال (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) . آخر تفسير سورة طه ولله الحمد والمنة ويتلوه إن شاءالله تفسير سورة الأنبياء ولله الحمد

﴿ تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام وهى مكية ﴾

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبى إسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال ، بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول وهن من تلادى

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * قَٰلَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ * مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس فى غفلة عنها أى لايعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائى حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسى حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى ﷺ (فى غفلة معرضون) قال « فى الدنيا » وقال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا) الآية ، وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الحسن بن هانئ أبى نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

الناس فى غفلاتهم * ورحا المنية تطحن

فقيل له من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون)وروى[1] فى ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الآمدى عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال إنى استقطعت

(١) هذا الخبر غير موجود فى النسخة المكية .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا فى العرب وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة لى فى قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحى الذى أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) أى جديد إنزاله (إلا استمعوه وهم يلعبون) كما قال ابن عباس : مالكم تسألون أهل الكتب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضا لم يشب رواه البخارى بنحوه ، وقوله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أى قائلين فيما بينهم خفية (هل هذا إلا بشر مثلكم) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحى دونهم ولهذا قال (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) أى أفتتبعونه فتكونون كمن يأتى السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى مجيبا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب (قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض) أى الذى يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذى أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين الذى لا يستطيع أحد أن يأتى بمثله إلا الذى يعلم السر فى السموات والأرض وقوله (وهو السميع العليم) أى السميع لأقوالكم العليم بأحوالكم وفى هذا تهديد لهم ووعيد وقوله (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه) هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وقوله (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) يعنون كناقة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية ، ولهذا قال تعالى : (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) أى ما آتينا قرية من القرى الذى بعث فيهم الرسل آية على يدى نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا ، بل (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدى رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال ابن أبى حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن زيد الحضرمى عن على بن رباح اللخمى حدثنى من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا فى المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقرأ بعض القرآن فجاء عبد الله بن أبى ابن سلول ومعه نمرقة وزربية فوضع واتكأ وكان صبيحا فصيحا جدلا فقال يا أبا بكر قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الأولون ؟ جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة . فبكى أبو بكر رضى الله عنه فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر قوموا بنا إلى رسول الله ﷺ نستغيث به من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ : « إنه لا يقام لى إنما يقام لله عزوجل » فقلنا يا رسول الله إنا لقينا من هذا المنافق ، فقال : « إن جبريل قال لى اخرج فأخبر بنعم الله التى أنعم بها عليك وفضيلته التى فضلت بها فبشرنى أنى بعثت إلى الأحمر والأسود وأمرنى أن أنذر الجن وآتانى كتابه وأنا أمى وغفر ذنبى ما تقدم وما تأخر وذكر اسمى فى الأذان وأمدنى بالملائكة وآتانى النصر وجعل الرعب أمامى وآتانى الكوثر وجعل حوضى من أعظم الحياض يوم القيامة ووعدنى المقام المحمود والناس مهطعون مقنعون رءوسهم وجعلنى فى أول زمرة تخرج من الناس وأدخل فى شفاعتى سبعين ألفا من أمتى الجنة بغير حساب وآتانى السلطان والملك وجعلنى فى أعلى غرفة فى الجنة فى جنات النعيم فليس فوقى أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لى ولأمتى الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلنا » وهذا الحديث غريب جدا

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَـٰلِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

يقول تعالى رادا على من أنكر بعثة الرسل من البشر (وماأرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) أى جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال فى الآية الأخرى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى) وقال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم لأنهم أنكر واذلك فقالوا (أبشر يهدوننا) ولهذا قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) أى اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم ، وقوله (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) أى بل قد كانوا أجسادا يأكلون الطعام كما قال تعالى (وماأرسلناقبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) أى قد كانوا بشرا من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضارلهم ولا ناقص منهم شيئاً كما توهمه المشركون فى قولهم (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا * أو يلقى إليه كنز أوتكون له جنة يأكل منها) الآية ، وقوله (وما كانوا خالدين) أى فى الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عزوجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه فى خلقه مما يأمر به وينهى عنه ، وقوله (ثم صدقناهم الوعد) أى الذى وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال (فأنجيناهم ومن نشاء) أى أتباعهم من المؤمنين (وأهلكنا المسرفين) أى المكذبين بما جاءت به الرسل .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾

يقول تعالى منبها على شرف القرآن ومحرضالهم على معرفة قدره (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم (أفلا تعقلون) أى هذه النعمة وتتلقونها بالقبول كما قال تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) وقوله (وكم قصمنامن قريه كانت ظالمة) هذه صيغه تكثير كما قال (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) وقال تعالى (وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمه فهى خاوية على عروشها) الآية. وقوله (وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) أى أمة أخرى بعدهم (فلما أحسوا بأسنا) أى تيقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم (إذا هم منها يركضون) أى يفرون هاربين (لاتركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم)هذا تهكم بهم نزرا أى قيل لهم نزرا لاتركضواهاربين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة ، قال قتادة استهزاء بهم (لعلكم تسئلون) أى عما كنتم فيه من أداء شكر النعم (قالوايا ويلنا إنا كنا ظالمين) اعترفوا بذنوبهم حين لاينفعهم ذلك (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) أى مازالت تلك المقالة وهى الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم حصدا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودا

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق أى بالعدل والقسط ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذى

أحسنوا بالحسنى وأنه لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا كما قال (وماخلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل الذين كفروا من النار) وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا) يعنى من عندنا، يقول وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا، وقال الحسن وقتادة وغيرهما (لو أردنا أن نتخذ لهواً) اللهو المرأة بلسان أهل اليمن، وقال إبراهيم النخعى (لاتخذناه) من الحور العين، وقال عكرمة والسدى: والمراد باللهو ههنا الولد وهذا والذى قبله متلازمان وهو كقوله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقا ولا سيما عما يقولون من الافك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزير أو الملائكة (سبحان الله عما يقولون علوا كبيرا) وقوله (إن كنا فاعلين) قال قتادة والسدى وإبراهيم النخعى ومغيرة بن مقسم أى ما كنا فاعلين وقال مجاهد: كل شيء فى القرآن إن فهو إنكار، وقوله (بل نقذف بالحق على الباطل) أى نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال (فيدمغه فإذا هو زاهق) أى ذاهب مضمحل (ولكم الويل) أى أيها القائلون لله وله (مما تصفون) أى تقولون وتفترون. ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم فى طاعته ليلا ونهارا فقال (وله من فى السموات والأرض ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يستنكفون عنها كما قال (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون * ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) وقوله (ولا يستحسرون) أى لا يتعبون ولا يملون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فهم دائبون فى العمل ليلا ونهارا مطيعون قصدا وعملا قادرون عليه كما قال تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن أبي دلامة البغدادى أنبأنا عبدالوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال: بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ «إنى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم» غريب ولم يخرجوه ثم رواه أعنى ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي زريع عن سعيد عن قتادة مرسلا، وقال محمد بن إسحق عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام فقلت له أرأيت قول الله تعالى للملائكة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل. فقال من هذا الغلام؟ فقالوا من بنى عبد المطلب، قال: فقبل رأسى ثم قال يابنى إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنت تتنفس وتمشى وأنت تتنفس؟

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أى أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض أى لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه، ثم أخبر تعالى أنه لو كان فى الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والأرض فقال (لو كان فيهما آلهة) أى فى السموات والأرض (لفسدتا) كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) وقال ههنا (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى عما يقولون أن له ولدا أو شريكا سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذى يفترون ويأفكون علوا كبيرا. وقوله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أى هو الحاكم الذى لامعقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وهم يسئلون) أى وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وهذا كقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه)

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

يقول تعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة قل) يامحمد (هاتوا برهانكم) أى دليلكم على ما تقولون (هذا ذكر من معى) يعنى القرآن (وذكر من قبلى) يعنى الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبى أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضون عنه ولهذا قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) كما قال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكل نبى بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب إن الملائكة بنات الله فقال (سبحانه بل عباد مكرمون) أى الملائكة عباد الله مكرمون عنده فى منازل عالية ومقامات سامية وهم له فى غاية الطاعة قولا وفعلا (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) أى لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فى آيات كثيرة فى معنى ذلك (وهم من خشيته) أى من خوفه ورهبته (مشفقون * ومن يقل منهم إنى إله من دونه) أى ادعى منهم أنه إله من دون الله أى مع الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) أى كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

يقول تعالى منبها على قدرته التامة وسلطانه العظيم فى خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال (أو لم ير الذين كفروا) أى الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المتبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أى كان الجميع متصلا بعضه ببعض

متلاصق متراكم بعضه فوق بعض فى ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وأنبتت الأرض ولهذا قال (وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون) أى وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على مايشاء

ففى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

قال سفيان الثورى عن أبيه عن عكرمة قال سئل ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال أرأيتم السموات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا إبراهيم بن أبى حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن أبى محمد عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما . قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرنى بما قال لك ، قال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لاتمطر وكانت الأرض رتقا لاتنبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتى فى القرآن علما ، صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت أقول مايعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتى فى القرآن علما وقال عطية العوفى كانت هذه رتقا لاتمطر فأمطرت وكانت هذه رتقا لاتنبت فأنبتت ، وقال إسماعيل بن أبى خالد سألت أبا صالح الحنفى عن قوله (أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين ، وهكذا قال مجاهد وزاد ولم تكن السماء والأرض متماستين . وقال سعيد بن جبير بل كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك فتقهما الذى ذكر الله فى كتابه ، وقال الحسن وقتادة كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهواء وقوله (وجعلنا من الماء كل شىء حى) أى أصل كل الأحياء . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن أبى ميمونة عن أبى هريرة أنه قال يانبى الله إذا رأيتك قرت عينى وطابت نفسى فأخبرنا عن كل شىء قال: « كل شىء خلق من ماء » . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن أبى ميمونة عن أبى هريرة قال : قلت يارسول إنى إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عينى فأنبئنى عن كل شىء قال « كل شىء خلق من ماء » قال قلت أنبئنى عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة . قال « أفش السلام وأطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام » ورواه أيضا عبدالصمد وعفان وبهز عن همام تفرد به أحمد وهذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذى يصحح له وقد رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مرسلا والله أعلم . وقوله (وجعلنا فى الأرض رواسى) أى جبالا أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أى تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة فى الماء إلا مقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات ، ولهذا قال (أن تميد بهم) أى لئلا تميد بهم ، وقوله (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) أى ثغرا فى الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم كما هو المشاهد فى الأرض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا ولهذا قال (لعلهم يهتدون) وقوله (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) أى على الأرض وهى كالقبة عليها كما قال (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) وقال (والسماء وما بناها) (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس » أى خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا فى الخيام كما تعهده العرب (محفوظا) أى عاليا محروسا أن ينال وقال مجاهد: مرفوعا . وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث يعنى ابن إسحق القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رجل يارسول الله ماهذه السماء قال « موج مكفوف عنكم » إسناده غريب وقوله (وهم عن آياتها

معرضون) كقوله (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) أى لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات فى ليلها ونهارها من هذه الشمس التى تقطع الفلك بكماله فى يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذى قدرها وسخرها وسيرها. وقد ذكر ابن أبى الدنيا رحمه الله فى كتابه التفكر والاعتبار: أن بعض عباد بنى إسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة فلم يرذلك الرجل شيئا مما كان يحصل لغيره فشكى ذلك إلى أمه فقالت له يا بنى فلعلك أذنبت فى مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فلعلك هممت قال لا ولا هممت قالت فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيرا قالت فمن ههنا أتيت ثم قال منبها على بعض آياته (وهو الذى خلق الليل والنهار) أى هذا فى ظلامه وسكونه وهذا بضيائه وأنسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر (والشمس والقمر) هذه لها نور يخصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر (وكل فى فلك يسبحون) أى يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل فى الفلكة قال مجاهد فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا الفلكة إلا بالمغزل، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن كما قال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك) أى يا محمد (الخلد) أى فى الدنيا بل (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحى إلى الآن لأنه بشر سواء كان وليا أو نبيا أو رسولا وقد قال تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقوله (أفائن مت) أى يا محمد (فهم الخالدون) أى يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى الفناء ولهذا قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقد روى عن الشافعى رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى ... تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

وقوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أى نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله (وإلينا ترجعون) أى فنجازيكم بأعمالكم

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ * خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (وإذا رآك الذين كفروا) يعنى كفار قريش كأبى جهل وأشباهه (إن يتخذونك إلا هزوا) أى يستهزئون بك وينتقصونك يقولون (أهذا الذى يذكر آلهتكم) يعنون أهذا الذى يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) أى وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال فى الآية الأخرى (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا * إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) وقوله (خلق الإنسان من عجل) كما قال فى الآية الأخرى (وكان الإنسان عجولا) أى فى الأمور قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شىء من آخر النهار من يوم خلق

الخلائق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي ـ وقبض أصابعه يقللها ـ فسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه » قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها آدم قال الله تعالى (خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) والحكمة في ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى خلق الإنسان من عجل لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال (سأريكم آياتي) أي نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني (فلا تستعجلون)

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم تكذيبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) قال الله تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) أي لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا . ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) وقال في هذه الآية (حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) وقال (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم (ولا هم ينصرون) أي لا ناصر لهم كما قال (ومالهم من الله من واق) وقوله (بل تأتيهم بغتة) أي (تأتيهم النار بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) أي تذعرهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون (فلا يستطيعون ردها) أي ليس لهم حيلة في ذلك (ولا هم ينظرون) أي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾

يقول تعالى مسلياً لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب (ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) يعني من العذاب الذي كانو يستبعدون وقوعه كما قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله * ولقد جاءك من نبإ المرسلين) ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام فقال (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) أي بدل الرحمن يعني غيره كما قال الشاعر

جارية لم تلبس المرقعا ولم تذق من البقول الفستقا

أي لم تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه ثم قال (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ ، أي ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا لا ، ولا كما زعموا ولهذا قال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي

هذه الآلهة التى استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله (ولاهم منا يصحبون) قال العوفى عن ابن عباس ولاهم منا يصحبون أى يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون يمنعون

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ * قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ * وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين إنما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متعوا فى الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه فاعتقدوا أنهم على شىء ثم قال واعظالهم (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) اختلف المفسرون فى معناه وقد أسلفناه فى سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال الحسن البصرى يعنى بذلك ظهور الإسلام على الكفر والمعنى أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال (أفهم الغالبون) يعنى بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون وقوله (قل إنما أنذركم بالوحى) أى إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذرتكم به من العذاب والنكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلى ولكن لا يجدى هذا عمن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) وقوله (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أى ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شىء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم فى الدنيا وقوله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) أى ونضع الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ، وقوله (فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) كما قال تعالى (ولا يظلم ربك احدا) وقال (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال لقمان (يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقانى حدثنا ابن المبارك عن ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى وسلم « إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ قال لا يارب قال أفلك عذر أو حسنة ؟ قال فبهت الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول أحضروه فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال ولا يثقل شىء مع بسم الله الرحمن الرحيم[1] » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد وقال الترمذى حسن غريب وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن يحيى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة ويوضع ما أحصى عليه فيما يل به الميزان قال فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر به إذا صائح

(١) هكذا فى الأصل ورواية الترمذى فلا يثقل مع اسم الله شىء اهـ

من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فانه قد بقى له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل فى كفة حتى يميل به الميزان » وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو نوح مرارا أنبأنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لى مملوكين يكذبونى ويخونونى ويعصونى وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذى بقى قبلك » فجعل الرجل يبكى بين يدى رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ « ما له لا يقرأ كتاب الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) » فقال الرجل يارسول الله ما أجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء — يعنى عبيده — إنى أشهدك أنهم أحرار كلهم

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) قال مجاهد يعنى الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل ، وقال ابن زيد يعنى النصر وجامع القول فى ذلك أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والغى والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً فى القلوب وهداية وخوفا وإنابة وخشية ولهذا قال (الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أى تذكيرا لهم وعظة ، ثم وصفهم فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) كقوله (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) وقوله (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (وهم من الساعة مشفقون) أى خائفون وجلون ، ثم قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعنى القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (أفأنتم له منكرون) أى أفتنكرونه وهو فى غاية الجلاء والظهور ؟

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل أى من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) وما يذكر من الأخبار عنه فى إدخال أبيه له فى السرب وهو رضيع وأنه خرج به بعد أيام فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بنى إسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئا من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفا وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف فى روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذى نسلكه فى هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية

لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة. والمقصود ههنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده من قبل أى من قبل ذلك وقوله (وكنا به عالمين) أى وكان أهلا لذلك ، ثم قال (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون هذا هو الرشد الذى أوتيه من صغره الأنكار على قومه فى عبادة الأصنام من دون الله عز وجل فقال (ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) أى معتكفون على عبادتها قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد ابن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال: مر على رضى الله عنه على قوم يلعبون بالشطرنج فقال ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ولهذا قال (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) أى الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فانتم وهم فى ضلال على غير الطريق المستقيم ، فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آلهتهم (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعناً أو محقا فيه فإنا لم نسمع به قبلك (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن) أى ربكم الذى لا إله غيره وهو الذى خلق السموات والأرض وماحوت من المخلوقات الذى ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أى وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾

ثم أقسم الخليل قسما أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أى ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أى إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه، قال السدى: لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه يا بنى لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إنى سقيم فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون: مه فيقول إنى سقيم فلما جاز عامتهم وبقى ضعفاؤهم قال (تالله لأكيدن أصنامكم) فسمعه أولئك : وقال ابن إسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال إنى سقيم وقد كان بالأمس قال (تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعه ناس منهم وقوله (فجعلهم جذاذا) أى حطاما كسرها كلها إلا كبيرا لهم يعنى إلا الصنم الكبير عندهم كما قال (فراغ عليهم ضربا باليمين) وقوله (لعلهم إليه يرجعون) ذكروا أنه وضع القدوم فى يد كبيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذى غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أى حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والاذلال الدال على عدم إلهيتها وعلى سخافة عقول عابديها (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أى فى صنيعه هذا (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) أى قال من سمعه يحلف إنه ليكيدنهم سمعنا فتى أى شاباً يذكرهم يقال له إبراهيم ، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبيا إلا شاباً ولا أوتى العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) . وقوله (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أى على رءوس الأشهاد فى الملإ الأكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين فى هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم فى عبادة هذه الأصنام التى لا تدفع عن نفسها ضرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شىء من

ذلك ؟ (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا) يعنى الذى تركه لم يكسره (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد . وفى الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث : ثنتين فى ذات الله قوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله (إنى سقيم) ـ قال ـ وبينا هو يسير فى أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلا فأتى الجبار رجل فقال إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء فقال ما هذه المرأة منك قال أختى قال فاذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى سارة فقال إن هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله وإنه ليس فى الأرض مسلم غيرى وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلى ، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذ شديدا فقال ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت له فارسل فأهوى إليها فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأوليين فقال ادعى الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجابه فقال إنك لم تأتنى بإنسان ولكنك أتيتنى بشيطان أخرجها وأعطها هاجر . فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته وقال مهيم قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخدمنى هاجر » قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال تلك أمكم يا بنى ماء السماء

﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال (فرجعوا إلى أنفسهم) أى بالملامة فى عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم فقالوا (إنكم أنتم الظالمون) أى فى تركك لها مهملة لا حافظ عندها (ثم نكسوا على رءوسهم) أى ثم أطرقوا فى الأرض فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) وقال السدى (ثم نكسوا على رءوسهم) أى فى الفتنة وقال ابن زيد أى فى الرأى وقول قتادة أظهر فى المعنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزا ولهذا قالوا له (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) أى إذا كانت لا تنطق وهى لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) أى أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذى لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر . فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) الآية

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾

لما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين فجمعوا حطبا كثيرا جدا ، قال السدى حتى إن كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم ثم جعلوه فى جوبة من الأرض وأضرموها نارا فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار اقط مثلها وجعلوا إبراهيم عليه السلام فى كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب من فارس الأكراد ، قال شعيب الجبائى

اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو هشام حدثنا إسحق بن سليمان عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك » ويروى أنه لما جعلوا يوثقونه قال : لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ، وقال شعيب الجبائي كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة فالله أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله فبلى ،وقال سعيد بن جبير ويروى عن ابن عباس أيضا قال لما ألقي إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله (يا نار كوني برداً وسلاما على إبراهيم) قال لم يبق نار في الأرض إلا طفئت وقال كعب الأحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الأعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لآذى إبراهيم بردها ، وقال جويبر عن الضحاك كوني برداً وسلاماً على إبراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء حتى أخمدها الله قال ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدى كان معه فيها ملك الظل

وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن النهال بن عمر قال أخبرت أن إبراهيم ألقي في النار قال فكان فيها إما خمسين وإما أربعين قال ما كنت أياما وليالي قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو ابن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يرشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا إبراهيم وقال قتادة لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ وقال الزهري أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثني عمي حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثتني مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت نقتل به هذه الأوزاغ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حين ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفىء النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على إبراهيم» فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله ، وقوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك ، وقال عطية العوفي لما ألقي إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر اليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ * وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم أنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض

المقدسة منها . قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب فى قوله (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فأنجاه الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة ومانقص من الأرض زيد فى الشام وما نقص من الشام زيد فى فلسطين ، وكان يقال هى أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال ، وقال كعب الأحبار فى قوله (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) إلى حران وقال السدى انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقى إبراهيم سارة وهى ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها فى دينهم فتزوجها على أن يفر بها ، رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً من بلاده ، وقال العوفى عن ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) وقوله (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) قال عطاء ومجاهد عطية ، وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عيينة النافلة ولد الولد يعنى أن يعقوب ولد إسحاق كما قال (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سأل واحدا فقال (رب هب لى من الصالحين) فأعطاه الله إسحق وزاده يعقوب نافلة (وكلا جعلنا صالحين) أى الجميع أهل خير وصلاح (وجعلناهم أئمة) أى يقتدى بهم (يهدون بأمرنا) أى يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) من باب عطف الخاص على العام (وكانوا لنا عابدين) أى فاعلين لما يأمرون الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن آزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى) فآتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالفوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم فى غير موضع من كتابه العزيز ولهذا قال (ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين)

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) وقال نوح (رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال ههنا (إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله) أى الذين آمنوا به كما قال (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) وقوله (من الكرب العظيم) أى من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله عزوجل فلم يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يتصدون لأذاه ويتواصون قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل على خلافه ، وقوله (ونصرناه من القوم) أى ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم (الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) أى أهلكهم الله بعامة ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾

قال ابن إسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عنا قيده ، وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفش الرعى ، وقال شريح والزهرى وقتادة ، النفش لا يكون إلا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الاصم قالا حدثنا المحاربى عن أشعث عن أبى إسحق عن مرة عن ابن مسعود فى قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) قال كرم قد أنبتت عنا قيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يانبى الله قال وماذاك قال تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فذلك قوله (ففهمناها سليمان) وكذا روى العوفى عن ابن عباس وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد حدثنا خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضى بينهم ؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا بلغ الحرث الذى كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبى إسحاق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذى نفشت فيه الغنم إنما كان كرماً فلم تدع فيه ورقة ولا عنقوداً من عنب إلا أكلته فأتوا داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاها أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذى كان ليلة نفشت فيه الغنم ثم يعطى أهل الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبى زياد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا إسماعيل عن عامر قال جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما إن شياه هذا قطعت غزلا لى فقال شريح نهاراً أم ليلا فان كان نهاراً فقد برىء صاحب الشياه وإن كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث) الآية وهذا الذى قاله شريح شبيه بما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن الزهرى عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت المواشى بالليل ضامن على أهلها ، وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه فى كتاب الأحكام وبالله التوفيق ، وقوله (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن فبكى فقال مايبكيك ؟ قال يا أبا سعيد بلغنى أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو فى النار ورجل مال به الهوى فهو فى النار ورجل اجتهد فأصاب فهو فى الجنة فقال الحسن البصرى إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال يعنى الحسن إن الله اتخذ على الحكام ثلاثا لا يشتروا به ثمنا قليلا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحدا ثم تلا (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقال (فلا تخشوا الناس واخشونى) وقال (ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا) قلت أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله عزوجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت فى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد

فأخطأ فله أجر » فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه إياس من أن القاضى إذا اجتهد فأخطأ فهو فى النار والله أعلم ، وفى السنن : القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار وقريب من هذه القصة المذكورة فى القرآن مارواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا على بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « بينما امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين فتحا كمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به للصغرى » وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما وبوب عليه النسائى فى كتاب القضاء ﴿ باب الحاكم يوهم خلاف الحكم ليستعلم الحق ﴾ وهكذا القصة التى أوردها الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فى ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه من طريق الحسن بن سفيان عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها أن امرأة حسناء فى زمان بنى إسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلباً لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانتصب حاكما وتزيا أربعة منهم بزى أولئك وآخر بزى المرأة وشهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الآخر فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكى ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلفوا عليه فأمر بقتلهم وقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) الآية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان إذا ترنم به تقف الطير فى الهواء فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا ولهذا لما مر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى موسى الأشعرى وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا فوقف واستمع لقراءته وقال « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » قال يارسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا . وقال أبو عثمان النهدى ماسمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبى موسى رضى الله عنه ، ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام « لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود » وقوله (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) يعنى صنعة الدروع قال قتادة إنما كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد) أى لا توسع الحلقة فتقلق المسمارة ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة ولهذا قال (لتحصنكم من بأسكم) يعنى فى القتال (فهل أنتم شاكرون) أى نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم وقوله . (ولسليمان الريح عاصفة) أى وسخرنا لسليمان الريح العاصفة (تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها) يعنى أرض الشام (وكنا بكل شىء عالمين) وذلك أنه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة والخيل والجمال والخيام والجند ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته ثم تحمله وترفعه وتسير به وتظله الطير تقيه الحر إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلاته وحشمه قال الله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) وقال تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) قال ابن أبى حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبى سنان عن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسى فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلهم ثم يأمر الريح فتحملهم صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجبل ثم يامر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الأجنحة فيرتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء وهو مطأطىء رأسه مايلتفت يمينا ولاشمالا تعظيما لله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغر ماهو فيه فى ملك الله عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه وقوله (ومن الشياطين من يغوصون له) أى فى الماء يستخرجون اللآلىء والجواهر وغير ذلك (ويعملون عملا دون ذلك) أى غير ذلك كما قال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين

مقرنين فى الأصفاد) وقوله (وكنا لهم حافظين) أى يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل فى قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال (وآخرين مقرنين فى الأصفاد)

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء فى ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شىء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلى فى ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلى فى جسده يقال بالجذام فى سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس وأفرد فى ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله وقد قال النبى ﷺ « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » وفى الحديث الآخر « يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه » وقد كان نبى الله أيوب عليه السلام غاية فى الصبر وبه يضرب المثل فى ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبق شىء له أحسن الذكر ثم قال : أحمدك رب الأرباب الذى أحسنت إلى أعطيتنى المال والولد فلم يبق من قلبى شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله منى وفرغت قلبى فليس يحول بينى وبينك شىء لو يعلم عدوى إبليس بالذى صنعت حسدنى . قال فلقى إبليس من ذلك منكراً قال . وقال أيوب عليه السلام يا رب إنك أعطيتنى المال والولد فلم يقم على بابى أحد يشكونى لظلم ظلمته وأنت تعلم ذلك وإنه كان يوطأ لى الفراش فأتركها وأقول لنفسى يا نفس إنك لم تخلقى لوطء الفراش ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك . رواه ابن أبى حاتم وقد روى عن وهب بن منبه فى خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبى حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخرى المفسرين وفيها غرابة تركناها لحال الطول ، وقد روى أنه مكث فى البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا فى السبب المهيج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقتادة ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهراً ملقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء . وقال وهب بن منبه مكث فى البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدى تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لو دعوت ربك يفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة فجزعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأتيه بما تصيب فتطعمه وإن إبليس انطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واحملا معكما فإنه من خمر أرضكما فإنه إن شرب منه برئ فأتياه فلما نظرا إليه بكيا فقال من أنتما فقالا نحن فلان وفلان فرحب بهما وقال مرحبا بمن لا يجفونى عند البلاء ، فقالا يا أيوب لعلك كنت تسر شيئا وتظهر غيره فلذلك ابتلاك الله فرفع رأسه إلى السماء فقال : هو يعلم ، ما أسررت شيئا أظهرت غيره ولكن ربى ابتلانى لينظر أأصبر أم أجزع فقالا له يا أيوب اشرب من خمرنا فإنك إن شربت منه برأت قال فغضب وقال جاءكما الخبيث فأمركما بهذا ؟ كلامكما وطعامكما وشرابكما على حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخبزت لأهل بيت لهم صبى فجعلت لهم قرصا وكان ابنهم نائما فكرهوا أن يوقظوه فوهبوه لها فأتت به إلى أيوب فأنكره وقال ما كنت تأتينى بهذا فما بالك اليوم فأخبرته الخبر قال فلعل الصبى قد استيقظ فطلب القرص فلم يجده فهو يبكى على أهله فانطلقى به إليه فاقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطحتها شاة لهم فقالت تعس أيوب الخطاء فلما صعدت وجدت الصبى قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكى على أهله لا يقبل منهم شيئا غيره فقالت رحمه الله يعنى أيوب فدفعت اليه

القرص ورجعت ثم إن إبليس أتاها فى صورة طبيب فقال لها إن زوجك قد طال سقمه فان أراد أن يبرأ فليأخذ ذبابا فليذبحه باسم صنم بنى فلان فانه يبرأ ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الخبيث لله على إن برأت أن أجلدك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لا تأتى أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بنات الأشراف فأعطوها طعاما طيبا كثيرا فأتت به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أين لك هذا قالت عملت لأناس فأطعمونى فأكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت أن تعمل فلم تجد فحلقت أيضاً قرنا فباعته من تلك الجارية فأعطوها أيضا من ذلك الطعام فأتت به أيوب فقال والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها محلوقا جزع جزعا شديدا فعند ذلك دعا الله عز وجل فقال (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجونى عن نوف البكالى أن الشيطان الذى عرج فى أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بنى إسرائيل فقال بعضهم لبعض: ما أصابه، ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وحدثنا أبى حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب عليه السلام أخوان فجاآ يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع من شىء قط فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقنى فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقنى فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال : اللهم بعزتك ثم خر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسى أبدا حتى تكشف عنى فما رفع رأسه حتى كشف عنه ، وقد رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر مرفوعا بنحو هذا فقال أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهرى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا فى حق ، قال وكان يخرج فى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » رفع هذا الحديث غريب جدا . وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب فجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت ياعبد الله أين ذهب هذا المبتلى الذى كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب فجعلت تكلمه ساعة . فقال ويحك أنا أيوب قالت أتسخر منى ياعبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدى ، وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم ، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك وقرب عن صاحبتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك . رواه ابن أبى حاتم . وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله فى ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشبع قال يارب ومن يشبع من رحمتك » أصله فى الصحيحين وسيأتى فى موضع آخر . وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قد تقدم عن ابن عباس أنه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفى عن ابن عباس أيضاً وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة ، وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة ، وإن كان

أخذه من نقل أهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب ، وقد سماها ابن عساكر فى تاريخه: رحمة الله تعالى قال ويقال اسمها ليا بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة أيوب كانت معه بأرض الثنية ، وقال مجاهد قيل له يا أيوب إن أهلك لك فى الجنة فان شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك فى الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل أتركهم فى الجنة فتركوا له فى الجنة وعوض مثلهم فى الدنيا ، وقال حماد بن زيد عن أبى عمران الجونى عن نوف البكالى قال أوتى أجرهم فى الآخرة وأعطى مثلهم فى الدنيا ، قال فحدثت به مطرفا فقال ماعرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روى عن قتادة والسدى وغير واحد من السلف والله أعلم وقوله (رحمة من عندنا) أى فعلنا به ذلك رحمة من الله به (وذكرى للعابدين) أى وجعلناه فى ذلك قدوة لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا ، وليتأسوا به فى الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة فى ذلك .

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره فى سورة مريم وكذا إدريس عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ماقرن مع الأنبياء إلا وهو نبى وقال آخرون إنما كان رجلا صالحاً وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف ابن جرير فى ذلك فالله أعلم. قال ابن جريج عن مجاهد فى قوله (وذا الكفل) قال رجل صالح غير نبى تكفل لنبى قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ويقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكفل وكذا روى ابن أبى نجيح عن مجاهد أيضا ، وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يفعل فجمع الناس فقال من يتقبل منى بثلاث أستخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه الأعين فقال أنا ، فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآتى فسكت الناس : وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فعمد دعونى وإياه فأتاه فى صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة — وكان لاينام الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم ، قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بينى وبين قومى خصومة وإنهم ظلمونى وفعلوا بى وفعلوا ، وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال إذا رحت فأتنى آخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك إذا قعدت فأتنى قال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك وإذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رحت فأتنى قال ففاتته القائلة فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لاتدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنى قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل: وراءك، وراءك قال إنى قد أتيته أمس وذكرت له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فإذا هو فى البيت وإذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يافلان ألم آمرك قال أما من قبلى والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام إلى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه فى البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتنى فى كل شىء ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به . وهكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث زهير بن إسحق عن داود عن مجاهد بمثله ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن مسلم قال : قال ابن عباس كان قاض فى بنى إسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامى على أن لا يغضب قال : فقال رجل: أنا فسمى ذا الكفل

قال فكان ليله جميعاً يصلى ثم يصبح صائما فيقضى بين الناس قال وله ساعة يقيلها قال فكان كذلك فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه مالك ؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبنى عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمدا حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال إنسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبى قال اذهب أنت اليه قال فذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً قال اذهب إليه فقل له يعطيك حقك فذهب ثم جاء من الغد حين قال : قال فقال له أصحابه اخرج فعل الله بك تجىء كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصيح من أجل أنى إنسان مسكين لو كنت غنيا ، قال فسمع أيضاً فقال مالك قال ذهبت إليه فضربنى ، قال امش حتى أجىء معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه بثريده منه ففر . وهكذا روى عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبى حجيرة الأكبر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال سمعت الأشعرى وهو يقول على هذا المنبر : ما كان ذو الكفل بنبى ولكن كان — يعنى فى بنى إسرائيل — رجل صالح يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل ، وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال أبو موسى الأشعرى فذكره منقطعاً والله أعلم ، وقد روى الإمام أحمد حديثاً غريباً فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدّ سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال « كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملنى عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعليه قط !! ثم نزل فقال اذهبى بالدنانير لك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل » هكذا وقع فى هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

هذه القصة مذكورة ههنا وفى سورة الصافات وفى سورة ن ، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهى قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبى لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم فى سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً قال الله تعالى (فساهم فكان من المدحضين) أى وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه فى البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر — فيما قاله ابن مسعود —

حوتاً يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظما فان يونس ليس لك رزقا وإنما بطنك تكون له سجناً ، وقوله (وذا النون) يعنى الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة . وقوله (إذ ذهب مغاضبا) قال الضحاك لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) أى نضيق عليه فى بطن الحوت يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها * سيجعل الله بعد عسر يسرا) وقال عطية العوفى أى فظن أن لن تقدر عليه أى تقضى عليه كأنه جعل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدّر بمعنى واحد ، وقال الشاعر

فلا عائد ذاك الزمان الذى مضى * تباركت ما تقدر يكن ذلك الأمر

ومنه قوله تعالى (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى قدر وقوله (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روى عن ابن عباس وعمرو ابن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقتادة وقال سالم بن أبى الجعد: ظلمة حوت فى بطن حوت آخر فى ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت فى البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى فى قراره فعند ذلك وهنالك قال (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وقال عوف الأعرابى لما صار يونس فى بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجدا فى موضع لم يبلغه أحد من الناس وقال سعيد بن أبى الحسن البصرى مكث فى بطن الحوت أربعين يوما رواهما ابن جبير وقال محمد بن إسحق بن يسار عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح ، قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى (وهو سقيم)» رواه ابن جرير ورواه البزار فى مسنده من طريق محمد بن إسحق عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة فذكر بنحوه ثم قال لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخى ابن وهب ثنا عمى حدثنى أبو صخر أن يزيد الرقاشى قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أن يونس النبى عليه السلام حين بدأ له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذاك ؟ قالوا لا يا رب ومن هو ؟ قال عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه فى العراء ، وقوله (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أى أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) أى إذا كانوا فى الشدائد ودعونا منيبين الينا ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء فى حال البلاء فقد جاء الترغيب فى الدعاء به عن سيد الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبى إسحق الهمدانى حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد حدثنى والدى محمد عن أبيه سعد هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال مررت بعثمان ابن عفان رضى الله عنه فى المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه منى ثم لم يرد على السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث فى الإسلام شىء مرتين قال لا وما ذاك قلت لا إلا أنى مررت بعثمان آنفا فى المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه منى ثم لم يرد على السلام قال فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك

السلام قال مافعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم إن عثمان ذكر فقال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بى آنفا وأنا أحدث نفسى بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ماذكرتها قط إلا تغشى بصرى وقلبى غشاوة قال سعد فأنا أنبئك بها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابى فشغله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقنى إلى منزله ضربت بقدمى الأرض فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا أبوا إسحاق؟ » قال قلت نعم يارسول الله قال « فمه » قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابى فشغلك قال « نعم دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له » ورواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير ابن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعنى ابن سعد عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا بدعاء يونس استجيب له » قال أبو سعيد يريد به (وكذلك ننجى المؤمنين) وقال ابن جرير حدثنى عمران ابن بكار الكلاعى حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثنى بشر بن منصور عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبى وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى » قال قلت يارسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال « هى ليونس بن متى خاصة ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عزوجل (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن أبى شريح حدثنا داود بن المحبر بن محذم القدسى عن كثير بن معبد قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد: اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ؟ قال ابن أخى أما تقرأ القرآن قول الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا — إلى قوله — وكذلك ننجى المؤمنين) ابن أخى هذ اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبيا وقد تقدمت القصة مبسوطة فى أول سورة مريم وفى سورة آل عمران أيضاً وههنا أختصر منها (إذ نادى ربه) أى خفيه عن قومه (رب لاتذرنى فردا) أى لا ولدلى ولا وارث يقوم بعدى فى الناس (وأنت خير الوارثين) دعاء وثناء مناسب للمسئلة قال الله تعالى(فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أى امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : كانت عاقراً لا تلد فولدت وقال عبد الرحمن بن مهدى عن طلحة بن عمرو عن عطاء كان فى لسانها طول فأصلحها الله وفى رواية كان فى خلقها شىء فأصلحها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدى والأظهر من السياق الأول . وقوله (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات) أى فى عمل القربات وفعل الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) قال الثورى رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا (وكانوا لنا خاشعين) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد: مؤمنين حقا وقال أبو العالية خائفين وقال أبو سنان الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لايفارقه أبداً وعن مجاهد أيضا خاشعين أى متواضعين وقال الحسن وقتادة والضحاك خاشعين أى متذللين لله عزوجل وكل هذه الأقوال متقاربة ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشى عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضى الله عنه ثم قال: أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا

الإلحاف بالمسئلة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام فيذكر أولا قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لأن تلك مربوطة بهذه فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن فى السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد فى حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهى أعجب فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر هكذا وقع فى سورة آل عمران وفى سورة مريم وههنا ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله (والتى أحصنت فرجها) يعنى مريم عليها السلام كما قال فى سورة التحريم (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقوله (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أى دلالة على أن الله على كل شىء قدير وأنه يخلق ما يشاء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله (ولنجعله آية للناس) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمر بن على حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن شعيب يعنى ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (للعالمين) قال العالمين الجن والإنس

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) يقول دينكم دين واحد وقال الحسن البصرى فى هذه الآية يبين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال(إن هذه أمتكم أمة واحدة) أى سنتكم سنة واحدة فقوله إن هذه إن واسمها وأمتكم خبر إن أى هذه شريعتكم التى بينت لكم ووضحت لكم وقوله أمة واحدة نصب على الحال ولهذا قال (وأنا ربكم فاعبدون) كما قال (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ـ إلى قوله ـ وأنا ربكم فاتقون) وقال رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » يعنى أن المقصود هو عبادة الله وحده لاشريك له بشرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله(وتقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال (كل إلينا راجعون) أى يوم القيامة فيجازى كل بحسب عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولهذا قال (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) أى قلبه مصدق وعمل عملا صالحا (فلا كفران لسعيه) كقوله (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) أى لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال (وإنا له كاتبون) أى يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شىء

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

يقول تعالى (وحرام على قرية) قال ابن عباس وجب يعنى قدقدر أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة هكذا صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد وفى رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أى لا يتوبون والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) قد قدمنا أنهم من سلالة

آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أى أبى الترك والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذى بناه ذوالقرنين وقال (هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً * وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الآية وقال فى هذه الآية الكريمة (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) أى يسرعون فى المشى إلى الفساد ، والحدب هوالمرتفع من الأرض قاله ابن عباس وعكرمةوأبوصالحوالثورى وغيرهم وهذه صفتهم فى حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك (ولا ينبئك مثل خبير) هذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذى يعلم غيب السموات والأرض لاإله إلا هو . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمدبن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبى يزيد قال : رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم فى أحاديث متعددة من السنة النبوية ﴿ فالحديث الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل (وهم من كل حدب ينسلون) فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون مافيه حتى يتركوه يابسا حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن أومدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبينماهم على ذلك بعث الله عز وجل دودا فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقه فيصبحون موتى لايسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر مافعل هذا العدو ، قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قدأوطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يامعشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ماشكرت عن شىء من النبات أصابته قط » ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحق به ، ﴿ الحديث الثانى ﴾ قال الإمام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقى حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى يحيى بن جابر الطائى قاضى حمص حدثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا فى ناحية النخل فقال « غير الدجال أخوفنى عليكم فان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم وإنه شاب جعد قطط عينه طافية وإنه يخرج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وشمالا ياعباد الله اثبتوا — قلنا يارسول الله مالبثه فى الأرض ؟ — قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى هوكسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال « لا . اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله فما إسراعه فى الأرض قال « كالغيث استدبرته الريح قال فيمر بالحى فيدعوهم فيستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم وهى أطول ما كانت ذرى وأمده خواصر وأسبغه ضروعا ويمر بالحى فيدعوهم فيردون عليه قوله فتتبعه أموالهم فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شىء ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل — قال — ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل اليه فبينماهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقى — قال — فبينماهم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أنى قد أخرجت عبادا من عبادى لايدان لك بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفا فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون فى الأرض بيتا إلا قد ملأه

زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله » قال ابن جابر فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل : قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وأين المهيل قال مطلع الشمس قال « ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ويقال للأرض انبتي ثمرك ودري بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ . والشاة من الغنم تكفي أهل البيت قال فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم — أو قال مؤمن — ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر وعليهم تقوم الساعة » انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال « إنكم تقولون لا عدو لكم وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبد الله بن حرملة المدلجي عن خالة له عن النبي ﷺ فذكره مثله سواء .

﴿ الحديث الرابع ﴾ قد تقدم في آخر تفسير سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد عن هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن مرثد بن عمارة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام — قال — فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم — قال — فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم ولا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه — قال — ثم يرجع الناس إلى أوطانهم يشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد إلي ربي أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا » ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ ورواه ابن جرير ههنا من حديث جبلة به والأحاديث في هذا كثيرة جدا والآثار عن السلف كذلك ، وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال : قال كعب إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجيء غدا فنخرج فيعيده الله كما كان فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجيء غدا فنخرج إن شاء الله فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون حتى يخرجوا فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيفر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع إليهم مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الأرض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يدى لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دوداً يقال له النغف فيفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا تأخذهم بمناقيرها فتلقيهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الأرض وينبتها حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل

البيت قال فبينما الناس كذلك إذا أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده قال فيبعث عيسى بن مريم طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائه حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحاً يمانية طيبه فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج الناس فيتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه متى تضع قال كعب فمن قال بعد قولى هذا شيئا أو بعد علمى هذا شيئا فهو المتكلف ، وهذا من أحسن سياقات كعب الأحبار لما شهد له من صحيح الأخبار ، وقد ثبت فى الحديث أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق ، وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبى عتبة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج » انفرد بإخراجه البخارى وقوله (واقترب الوعد الحق) يعنى يوم القيامة إذا حصلت هذه الأهوال والزلازل والبلابل أزفت الساعة واقتربت فإذا كانت ووقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى (فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) أى من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام (ياويلنا) أى يقولون ياويلنا (قد كنا فى غفلة من هذا) أى فى الدنيا (بل كنا ظالمين) يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لاينفعهم ذلك

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا لأهل مكة من مشركى قريش ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال ابن عباس أى وقودها يعنى كقوله (وقودها الناس والحجارة) وقال ابن عباس أيضا حصب جهنم يعنى شجر جهنم ، وفى رواية قال (حصب جهنم) يعنى حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وهى كذلك فى قراءة على وعائشة رضى الله عنهما وقال الضحاك حصب جهنم أى مايرمى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله (أنتم لها واردون) أى داخلون (لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها) يعنى لوكانت هذه الأصنام والأنداد التى اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها (وكل فيها خالدون) أى العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون (لهم فيها زفير) كما قال تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوج أنفاسهم (وهم فيها لا يسمعون)

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن يعنى المسعودى عن أبيه قال : قال ابن مسعود إذا بقى من يخلد فى النار جعلوا فى توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب فى النار غيره ثم تلا عبد الله (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن المسعودى عن يونس بن حبان عن ابن مسعود فذكره ، وقوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة (أولئك عنها مبعدون) لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة فى الدنيا كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فكما أحسنوا العمل فى الدنيا أحسن الله مآبهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال (أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها) أى حريقها فى الأجساد ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن أبى عثمان الحريرى عن أبى عثمان (لا يسمعون حسيسها) قال حيات على الصراط تلسعهم فإذا لسعتهم

قال حس حس وقوله (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) فسلمهم من المحذور والمرهوب وحصل لهم المطلوب والمحبوب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال وسمر مع على ذات ليلة فقرأ (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجر ثوبه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يقول فى قوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال عثمان وأصحابه، ورواه ابن أبي حاتم أيضا ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن ماهك عن محمد بن حاطب عن على فذكره ولفظه عثمان منهم ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فأولئك أولياء الله يمرون على الصراط مرا هو أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثيا فهذا مطابق لما ذكرناه ، وقال آخرون بل نزلت استثناء من المعبودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج وعثمان عن عطاء عن ابن عباس (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) ثم استثنى فقال (إن الذين سبقت لهم منه الحسنى) فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال نزلت فى عيسى بن مريم وعزير عليهما السلام ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد بن طريف عن الأصبغ عن على فى قوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال كل شيء يعبد من دون الله فى النار إلا الشمس والقمر وعيسى بن مريم إسناده ضعيف وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (أولئك عنها مبعدون) قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد وقد روى ابن أبي حاتم فى ذلك حديثاً غريباً جدا فقال حدثنا الفضل بن يعقوب المرخاني حدثنا سعيد بن مسلمة بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فى قوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) قال عيسى وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة ابن الزبعرى ومناظرة المشركين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن على بن سهل حدثنا محمد بن حسن الأنماطي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعنى ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقال ابن الزبعرى قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء فى النار مع آلهتنا ؟ فنزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) ثم نزلت (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) رواه الحافظ أبو عبد الله فى كتابه الأحاديث المختارة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان يعنى الثورى عن الأعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال المشركون فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فنزلت (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) الآلهة التى يعبدون (وكل فيها خالدون) وروى عن أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فنزلت (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله فى كتاب السيرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفى المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون — إلى قوله — هم

فيها لا يسمعون) ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس معهم فقال الوليد ابن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمداً كل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) أى عيسى وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون — إلى قوله — ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون * وقالوا أ آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) أى ماوضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول « فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وهذا الذى قاله ابن الزبعرى خطأ كبير لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة فى عبادتهم الأصنام التى هى جمادلا تعقل ليكون ذلك تقريعا وتوبيخا لعابديها ولهذا قال (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده وعول ابن جرير فى تفسيره فى الجواب على أن ما لما لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبعرى بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين ، وقد كان يهاجى المسلمين أولا ثم قال معتذراً

يا رسول المليك إن لسانى * راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثبور

وقوله (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الأكبر النفخة فى الصور قاله العوفى عن ابن عباس وأبو سنان سعيد بن سنان الشيبانى واختاره ابن جرير فى تفسيره وقيل حين يؤمر بالعبد إلى النار قاله الحسن البصرى وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد بن جبير وابن جريج وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلى فيما رواه ابن أبى حاتم عنه ، وقوله (وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) يعنى تقول لهم الملائكة تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى فأملوا ما يسركم .

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد قال البخارى حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه » انفرد به من هذا الوجه البخارى رحمه الله : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن سلمة عن أبى الواصل عن أبى المليح الأزدى عن أبى الجوزاء الأزدى عن ابن عباس قال : يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من

الخليقة يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله فى يده بمنزلة خردلة ، وقوله (كطى السجل للكتب) قيل المراد بالسجل الكتاب ، وقيل المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكه ، قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن يمان حدثنا أبو الوفاء الأشجعى عن أبيه عن ابن عمر فى قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) ، قال السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال اكتبها نورا وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن ابن يمان به ، قال ابن أبى حاتم وروى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين أن السجل ملك ، وقال السدى فى هذه الآية السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة ، وقيل المراد به اسم رجل صحابى كان يكتب للنبى ﷺ الوحى ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال السجل هو الرجل ، قال نوح وأخبرنى يزيد بن كعب هو العوذى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبى ﷺ وهكذا رواه أبو داود والنسائى كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر بن على الجهضمى كما تقدم ورواه ابن عدى من رواية يحيى ابن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى عليه وسلم كاتب يسمى السجل وهو قوله (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) قال كما يطوى السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ . وقال الخطيب البغدادى فى تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقانى أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجى أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخى أن حمدان بن سعيد حدثهم عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبى ﷺ وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبى داود وغيره لا يصح أيضا ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان فى سنن أبى داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزى فسح الله فى عمره ونسأ فى أجله ، وختم له بصالح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدته ولله الحمد . وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للانكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال : لا يعرف فى الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبى صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله فى ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره فى أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم ، والصحيح عن ابن عباس أن السجل هى الصحيفة قاله على بن أبى طلحة والعوفى عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف فى اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب أى على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله (فلما أسلما وتله للجبين) أى على الجبين ، وله نظائر فى اللغة والله أعلم . وقوله (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) يعنى هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله الذى لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا قال (إنا كنا فاعلين) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أبو جعفر وعبيدة العمى قالوا حدثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » وذكر تمام الحديث أخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخارى عند هذه الآية فى كتابه ، وقد روى ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله ﷺ نحو ذلك ، وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (كما بدأنا أول خلق نعيده) قال : يهلك كل شىء كما كان أول مرة

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ

عَٰبِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة فى الدنيا والآخرة ووراثة الأرض فى الدنيا والآخرة كقوله تعالى (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وأخبر تعالى أن هذا مسطور فى الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) قال الأعمش : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) فقال الزبور: التوراة والإنجيل ، والقرآن ، وقال مجاهد: الزبور الكتاب ، وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور الذى أنزل على داود والذكر التوراة وعن ابن عباس الذكر القرآن ، وقال سعيد بن جبير الذكر الذى فى السماء ، وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول، وقال الثورى هو اللوح المحفوظ ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور الكتب التى أنزلت على الأنبياء والذكر أم الكتاب الذى يكتب فيه الأشياء قبل ذلك ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله سبحانه وتعالى فى التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون . وقال مجاهد عن ابن عباس (إن الأرض يرثها عبادى الصالحون) قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدى وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري ، وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدى هم المؤمنون ، وقوله (إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين) أى إن فى هذا القرآن الذى أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغا لمنفعه وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أى أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد فى الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) وقال تعالى فى صفة القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) . وقال مسلم فى صحيحه حدثنا ابن أبى عمر حدثنا مروان الفزارى عن يزيد بن كيسان عن ابن أبى حازم عن أبى هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال « إنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة » انفرد بإخراجه مسلم وفى الحديث الآخر « إنما أنا رحمة مهداة » رواه عبد الله بن أبى عوانة وغيره عن وكيع عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا قال إبراهيم الحربى وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة . وكذا قال البخارى وقد سئل عن هذا الحديث فقال كان عند حفص بن غياث مرسلا . قال الحافظ ابن عساكر وقد رواه مالك بن سعيد بن الخمس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبى هريرة مرفوعا ثم ساقه من طريق أبى بكر ابن المقرى وأبى أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفى حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى عن أبى أسامة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا رحمة مهداة » ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن منصور عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله بعثنى رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين » . قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا أحمد بن صالح قال وجدت كتاباً بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردى وإبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خمره يا معشر قريش إن محمداً

نزل يثرب وأرسل طلائعه وإنما يريد أن يصيب منكم شيئا فاحذروا أن تمروا طريقه أو تقاربوه فانه كالأسد الضارى إنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه نفى القردان عن الناسم والله إن له لسحرة ما رأيته قط ولا أحداً من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم قد عرفتم عداوة ابنى قيلة يعنى الأوس والخزرج فهو عدو استعان بعدو فقال له مطعم بن عدى يا أبا الحكم والله ما رأيت أحداً أصدق لسانا ولا أصدق موعدا من أخيكم الذى طردتم وإذ فعلتم الذى فعلتم فكونوا أكف الناس عنه قال أبو سفيان بن الحارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابنى قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وإن أطعمتمونى ألجأتموهم حير كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيدا مطرودا ، وأما ابنا قيلة فوالله ما هما وأهل دهلك فى المدلة إلا سواء وسأكفيكم حدهم وقال

سأمنح جانباً منى غليظا * على ما كان من قرب وبعد * رجال الخزرجية أهل ذل * إذا ما كان هزل بعد جد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « والذى نفسى بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون إنى رحمة بعثنى الله ولا يتوفانى حتى يظهر الله دينه، لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب » وقال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنى عمرو بن قيس عن عمرو بن أبى قرة الكندى قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « أيما رجل سببته فى غضبى أو لعنته لعنة فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما بعثنى الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة فان قيل فأى رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا إسحق الأزرق عن المسعودى عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الأمم من الخسف والقذف وهكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث المسعودى عن أبى سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره نحوه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم الطبرانى عن عبدان ابن أحمد عن عيسى بن يونس الرملى عن أيوب بن سويد عن المسعودى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين) قال من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات وسلامه عليه أن يقول للمشركين (إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) أى متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له (فان تولوا) أى تركوا ما دعوتهم إليه (فقل آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم أنى حرب لكم كما أنكم حرب لى برىء منكم كما أنتم برآء منى كقوله (وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) وقال (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) أى ليكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء وهكذا ههنا (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم ببراءتى منكم وبراءتكم منى لعلمى بذلك . وقوله (وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) أى هو واقع لا محالة ولكن لا علم لى بقربه ولا ببعده (إنه يعلم الجهر من القول

ويعلم ما تكتمون) أى إن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم مايظهره العباد ومايسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون فى أجهارهم وأسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل . وقوله (وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) أى وما أدرى لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكاه عون عن ابن عباس فالله أعلم (قال رب احكم بالحق) أى افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق . قال قتادة كانت الأنبياء عليهم السلام يقولون (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد غزاة قال (رب احكم بالحق) وقوله (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أى على مايقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون فى مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم فى ذلك . آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحج ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بتقواه ومخبرا لهم بمايستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها ، وقد اختلف المفسرون فى زلزلة الساعة ، هل هى بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم كما قال تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) وقال تعالى (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة) الآية ، وقال تعالى (إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة فى قوله (إن زلزلة الساعة شىء عظيم) قال قبل الساعة ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث الثورى عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فذكره ، قال وروى عن الشعبى وإبراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة ، وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك فى حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور ؟ قال قرن قال فكيف هو ؟ قال « قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهى التى يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق) فتسير الجبال فتكون ترابا وترج الأرض بأهلها رجا وهى التى يقول الله تعالى (يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة) فتكون الأرض كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهى التى يقول الله تعالى (يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من